

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكرى معهد الحياة والشيخ عدون

أ. عيسى بن محمد بن بابا الشيخ بالحاج

الحمد لله الذي أشرقت بنور وجهه الظلمات، واستنارت بفيض سناه السماوات، و خضعت لجلال سلطانه الكائنات، وازدانت بقس هديه النفوس المطمئنات، يرفع الذين آمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات، يخلق ما يشاء و يختار، و يصطفي من الملائكة رسلا و من الناس، و أصلي و أسلم محبا متيما، على من بعث للناس معلما، و لمكارم الأخلاق متمما، و لشتات الأمة ململما، الرسول الأمي الذي لولاه لم تزل الدنيا عدما، محمد بن عبد الله القائل دوما، صدقا من الحديث و بلسما: العلماء ورثة الأنبياء و إن الأنبياء لم يورثوا دينارا و لا درهما، و إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ حظ وافر، و أثنى على خير القرون، و الثلاثة الأولين السابقين، من الأنصار و المهاجرين، الذين اختارهم ربُّ الخلائق لآخر رسله صحبةً و بناءً، و خير أمه نجوما و هداة. فكانوا خير من ابتغوا إلى ربهم الوسيلة، و صفوة من زينوا سماء الفضيلة، و جاؤوا من الخيرات بكل جليلة، و الذين لو أنفق أحدهم ملء الأرض ذهبا ما بلغ مد أحدهم و لا قليله

أيها الملاء الكريمة من قومي السراة، و يا حظوة الأمة الأباة، و يا صفوة الأحبة الهداة، و يا أبناءنا الأعزة الأبرار، و فلذات أكبادنا الأطهار، و يا خلفنا الصالح بعد طول أعمار، سلام عليكم تكنه الجوانح من رب غفور ، و رحمة شاملة تحفها المدائح من برّ شكور، و بركة سابعة تذررها الصفائح من قوي قدير، في ذكرى يوم غابر من أيام الله، و حدث باهر قضى في ملكوت الله، يوم أضاء فيه وهاجا مشعل الهداية في القرارة، و ارتفع فيه سراجا مصباح الرشد و الطهارة، واهتدت بالاققباس من مشكاته نفوس حيارى، و استنارت بسنا نوره القلوب مرارا، و سارت بعاطر ذكره الركبان، وشدت إليه الرحال من كل البلدان. إنه يوم تأسيس معهد الشباب، أو معهد الحياة، بله معهد الشيخ بيوض و معهد الشيخ عدون، الذي جرت مراسيم افتتاحه قبل اثنتين وثمانين سنة و بالتحديد يوم الجمعة 28 شوال 1343 هـ الموافق ل 21 ماي 1925م في وليمة أقامها الشيخ بيوض رحمه الله في داره، تقدمتها ختمة للقرآن، حضرها أعضاء حلقة العزابة، و أعيان البلد و أبطال الحركة الإصلاحية. كما نصّ على ذلك فضيلة الشيخ عدون رحمه الله في الصفحة 54 من كتابه معهد الحياة نشأته و تطوره الذي خصصه لتاريخ مراحل تأسيس المعهد .

ويقول المؤرخ العبقري الكبير الشيخ محمد علي دبور في كتابه القيم نفضة الجزائر الحديثة الذي أرخ فيه للحركة الإصلاحية بكل دقة و أمانة في الجزء الثالث صفحة 16: و كان ميلاد المعهد في الربيع في شهر ماي، فولد مع الزهور الفواحة، و العراجين المباركة، و مع شباب الدنيا الذي يجددها و يورثها حسنّها و نتائجها، فازدانت النفوس تفاؤلا

بميلاد المعهد، في يوم الجمعة المبارك، في شهر العيد، في موسم الربيع، و شعر الطلبة بالعيد الأكبر، هذا اليوم العظيم الذي يتحقق فيه أمل من أعظم آمالهم، فينفتح هذا المعهد العظيم الذي رأوه أوسع باب للمستقبل الزاهر الذي يرجونه لدينهم و أمتهم. اه

و إننا إذ نقوم في ذكره اليوم احتفاءً بهيئته، واحتفالاً بأوبته بعد اثنتين و ثمانين حجة، فلأن إشراقته كانت علينا حجة، و طريقته صارت لنا محجة، نسلكها كما سلكها سلفنا طائعين نبتغي بذلك النجاة يوم ترج الأرض رجًا. معهد وضع قواعده سلفٌ صالح، و صنع فرائده جيلٌ فالح، و رفع مقامه نشء ناصح، ابتغاء ما عند المولى من أجر طافح، لا يغريه إقداما ثناء مادح، و لا يشنيه إحجاما عواء قادح. لأنه آمن يقينا صادقاً أن معهدهم هذا وريثٌ أمجاد تقدمته، و حفيدٌ معاهد سبقتة، و فهو امتداد لمعهد الشيخ الحاج عمر بن يحيى نور القلب، والذي هو فرع من معهد علم الأمة الفذ الشيخ محمد بن يوسف أطفيش القطب، الذي يستمد وجوده من معهد الشيخ محمد بن بكر بن أبي بكر الفرستائي واضع نظام الإمامة الصغرى في المغرب، و الذي يضرب بجذوره عميقة في تاريخ المذهب، ليصل إلى معهد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في غار البصرة على شط العرب، و من ثم فهو موصول الأحقاب، موثوق الأسباب بمدرة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه و سلم، منها يتفجر نبعه، و يستمد فيضه، و يجدد قوته، و منها يمتص رحيق الإيمان، و يرضع لبان التقوى في كل آن، و يستلهم سبيل الرشاد مدى الأزمان، إنه بحق يوم عيد سعيد سعدت بطلعته السماوات، و فجر قوم مجيد شعت أنواره في الخافقات، و خبيئة عمل صالح ابتغته النفوس المؤمنات، فغدت لهم ذكرا حسنا في الباقيات و لسان صدق في الخالدات.

معشر السادة النبلاء، و يا ثلة الإخوة الأساتذة الفضلاء، و يا جمع أبنائنا الطلبة الأعزاء : إنكم و إيانا جميعا نتناول في سريرة، و نحن و أنتم كلنا نتساءل في حيرة: ما بال القوم اليوم في وجوم، و لم الجمع تغشاه مسحة من الغيوم، و لم المكان تظلمه سحابة من الهموم، و لم البسمة لا تفتت بها زاهية شفاه الحاضرين، و لم الألحان لم تنطلق بها شادية أفواه المنشدين؟

إيه معشر الأكرمين إنها الذكرى في الميعاد تقام، لتعزيز افتقدناه على فاقة منذ أيام، و مديروا كعب المعهد مرابطا منذ أن قام، و راعيا ظل مسجيا لنا على الدوام، طواه الدهر في جدث، و أبقانا بعده في عنت، و قلوبنا شوقا إلى لقياه في لهث. و إي وربي إنه ذلكم الذي بذكره تنزل الرحمات، و بدعائه تحل البركات. من صدق فيه قول الحبيب المصطفى خياركم من ذكركم بالله رؤيته، و زاد في علمكم منطقه، و رغبتكم في الآخرة عمله. إنه الأب الشغوف، و المدير العطوف و الشيخ الألوفا سعيد شريفي الشيخ عدون. عدون في مرقد العدناء، شريف في مرصد الشرفاء، سعيد في مقاعد السعداء.

فكيف يطيب اللقاء دونك يا سعيد، و كيف تسكن النفوس بعدك يا شهيد، و قد كنت في عمرك المديد، دوما لنا الأمل البعيد، و لا زلت حتما في الأفق الفجر الجديد، و السراج الذي ينير الدرب في اليوم الشديد، و أنت القائل في آخر كتابك الذي ألفتة عن معهد الحياة بعد أن عشت ثمانين حولا، و قد وهن العظم منك، و اشتعل الرأس شيبا و

لكنك لم تسأم الحياة و لم تكن بدعاء ربك شقيا، : تلك نتائج المعهد في ماضيه و حاضره، فماذا أعددتنا لحياته المقبلة التي نرجو أن تكون أوفى و أسعد و أطيب و أزهر، و أن تكون ممتدة إلى أن يرث الله الأرض و من عليها، ماذا أعددتنا من أبنائنا إذا أردنا لهم السعادة الحق، و ماذا أعددتنا من إمكانياتنا إذا أردنا أن نكون مجتهدين في سبيل الله، هل نحن على استعداد للتضحية ببعض ما ضحى به سلفنا من المؤسسين و المرابطين في هذا المعهد؟؟؟ اه.

كأن بني نبهان يوم مصابه نجوم سماء خرّ من بينها البدر
كنا كأنجم ليل بينها قمر يجلو الدجى فهوى من بينها القمر

ألا رحماك أبانا، لكم كنت ظلا على القوم ظليلا، و يا بشراك مديرنا لكم حنوت على النشء عطفًا جزيلا، و سقيت البنوة ماء الحياة سلسبيلا، و يا سعداك مولانا لكم أسديت إلى المحفل رأيا جليلا، و تحملت مما تنوء به أولو العصبية من القوة عبئا ثقيلا. لقد كنت الملاذ في معترك الأهواء، و الفصل في مشتجر الآراء، و البلسم في موضع الداء، فيا سماء ما طاولتها سماء، ما كانت تصدر إلا عن ضوئك الأضواء،

ذهب الصواب برأيه فكأنما آراؤه اشتقت من التأيد
فإذا دجا خطب تبلج رأيه صباحا من التوفيق و التأيد

فهل نرى لك من باقية، تكون لنا من بعدك واقية، و لأسقامنا من نفثك راقية، و لعطاشنا من وردك ساقية. هذا الذي تهفو إليه نفوسنا، و ترنو إليه قلوبنا، و تسعى إليه جموعنا، مستمسكة بحبل الله المتين، معتصمة بنور كتابه المبين.

إذا ذكرتك يوما قلت واحزنا و ما يرد عليك القول واحزنا
يا سيدي و مزاج الروح في جسدي هلا دنا الموت مني حين منك دنا
يا أطيب الناس روحا ضمه بدن أستودع الله ذاك الروح و البدنا
لو كنت أعطى به الدنيا معاوضة منه لما كانت الدنيا له ثمنا

أيها الأحبة الأكرمون : قد يبدو لمن لا يستمطر الأخبار أن إقامة هذا الحفل في مثل هذا اليوم كان أمرا عجيبا، و لمن يجهل تاريخ ماضيه أن إقبال القوم إلى مثل هذا المقام بات شيئا غريبا، و قد يراه من لا يعي من قدر الله شيئا أنه كان من قبيل المصادفة لا أمرا رتيبا. و يشتد التساؤل إلحاحا، لم اختير اليوم الثامن و العشرون 28 من شهر شوال ليحيي أساتذة و طلبة معهد الحياة فيه ذكرى مديرهم فضيلة الإمام الشيخ عدون رحمه الله ؟ و لم كان الجمع بين الذكرى الثانية و الثمانين لتأسيس معهد الحياة، : و الاحتفال بمدير معهد الحياة؟ أوليس الأفضل أن يفصل بين الذكرين فتخص كل منهما باحتفال مستقل يخلد كلا المعلمين بما يليق به، و تشيد بما يجدر به ؟

و لكن يا معشر الإخوة الألباء، ويا حضوة البنوة النجباء هل يوجد فرق بين مؤسسة معهد الحياة و مديره الفذ الشيخ عدون؟ أو ليس معهد الحياة هو الشيخ عدون و الشيخ عدون هو معهد الحياة، ألم يرتسم هذا التزاوج في ذاكرة كل من انتسب يوما إلى هذا المعهد العتيد، و تعرف على هذا المدير الفريد، الذي تغلب على نفسه صفة الأبوة الحانية على سلوك الأستاذية الصارمة؟ أوليس الفصل بينهما كالفصل بين زوجين، و القطيعة بين حبيين؟ و التفرقة بين شقين؟ و إنه لعمري قد لا ندرك نحن الأحفاد، الذين لم نعش مرحلة شد الأوتاد، قداسة هذه الحقيقة، و روعة هذه الصلة الوثيقة، و لكن يدرك ذلك من كان يقف فارعا بالمرصاد، أو يشتد بارعا في الجهاد، أو يتابع البحث مستقصيا في عناد.

فهذا الدكتور محمد صالح ناصر أحد أفذاذ خريجي معهد الحياة، و أخلص طلبة مدير معهد الحياة، يقول في الصفحة 6 من المقدمة التي صدر بها كتاب معهد الحياة نشأته و تطوره: و الواقع لا نعد مبالغين إذا قلنا إن فضيلة الشيخ عدون هو العمود الفقري لهذه المؤسسة التعليمية في كل مراحلها التي مرت بها، فهو المخطط، و الراعي، و الموجه، و المنفذ ماديا و أدبيا، فهو أحد الذين وضعوا حجر التأسيس في بنائه، و تابع بناءه بنبضات قلبه، و حبات عرقه، و لم تغف عينه عنه لحظة من ليل أو نهار. و إن الخصال العالية التي يتحلى بها بواته ليكون بحق المعلم القدوة إخلاصا و انضباطا، حزما و نظاما، جدا واجتهادا، أعطى لهذه المؤسسة كل ما يملك من نفس و نفيس، حتى غدت جزءا من نفسه، و كائنا حيا، الشيخ عدون أحد أسمائها

أما المؤرخ الإسلامي الكبير الشيخ محمد علي دبور الذي عايش مراحل نشأة المعهد و تطوراته طالبا و أستاذا و مؤرخا و باحثا فيقول في كتابه نهضة الجزائر الحديثة الجزء 3 الصفحة 28 : و كان مع الشيخ بيوض في هذه الخصائص ناظر المعهد في أطواره الأولى، و مديره بعد ذلك، أستاذنا الجليل الشيخ عدون بن بالحاج، إنه الذراع الأيمن للشيخ بيوض في جهاده العلمي، و في بناء المعهد و تسييره، و لقد أحبه التلاميذ كل الحب، و تفتحت له نفوسهم فانصاعوا لمواعظه، و لازموا صراطه المستقيم الذي يأمرهم به، و هو من الأسباب الكبرى في نجاح معهد الحياة في التربية، فلولاه لتعب الشيخ بيوض، و كانت نتائج المعهد أقل، و عمره أقصر، و شبابه و صعوده أقل بكثير مما هو الآن.

و يقول في الجزء 2 صفحة 202 من نفس الكتاب: من جزاء الله العظيم للشيخ بيوض على حسن نيته و عمله لوجه الكريم أن وهب الله له الشيخ عدون بن بالحاج، فكان من الطلبة الأولين في معهده، و هو ممن سعى في إنشاء معهد الحياة، و ألقى على الشيخ بيوض في إنشائه، و هو أكثر اختلاطا بالطلبة لأنه ناظر المعهد، يربط فيه كل أوقاته، و يمتزج بالطلبة معظم النهار و الليل فتأثروا به، و هو من أكبر أسباب نجاح الشيخ بيوض في التربية و التعليم، فلولاه لعظمت أقاله في المعهد فلا يستطيع أن يتفرغ في جزء كبير من وقته لقيادة النهضة و مشاكل الإصلاح. و إن ما يشدني إلى هذا المعهد العظيم فأثرته ميدانا للجهاد في سبيل الله، لنيل رضى الله أسباب كثيرة قوية، منها قيام الشيخ عدون بإدارته

...إنه من أكبر أسباب تقدم معهد الحياة وازدهاره في كل عهوده، و لا زال نشاطه فيه و طموحه في شبابه و هو في شيخوخته. و إن هاتين الشخصيتين العظيمتين شخصية الشيخ بيوض و شخصية الشيخ عدون من أكبر العوامل التربوية في المعهد. اه.

و أعتقد أنّ أصدق ما يبرز هذه الحقيقة التاريخية شهادة محتفانا اليوم نفسه و هو يقول في صدق و تواضع متحدثا بنعمة الله في مقابلة خاصة : إن أحسن عمل أتقرب به إلى الله تعالى هو سعيي و أثري في تأسيس المعهد، و أعتقد أنه لو لم أكن حاضرا يوم ذاك الوقت لبقيت حالة التعليم على حالها جيلا أو أكثر

ويزيد بيانا في الصفحة 41 من كتابه معهد الحياة : و كان المراقب (الشيخ عدون) الباعث لهذه الحركة و المسير لها الشخص الوحيد الذي يهتم بهذه الجلسات و تحديد مواعيدها و تعيين أماكنها، و يتولى دعوة المشاركين فيها، وكم كان يعاني في ذلك من هم و جهد و عناء، و كم كان يلاقي في سبيله من موانع و عراقيل و ممانعات.

و يؤكد على هذا الإقرار زعيم الأمة بحق و مؤسس الحركة الإصلاحية و رائدها بصدق الشيخ بيوض رحمه الله بقوله: إن كلّ ما أنجزته من أعمال في الميدان التربوي و الإجتماعي يعود الفضل فيه إلى الشيخ عدون، و من ثمّ كان يوصي في كل مرة يُجدد فيها مكتب جمعية الحياة غيروا من شتمتم إلا الشيخ عدون .

أما رفيق الخنفي في النهضة القرارية، عميد الصحافة الجزائرية، و شيخ البعثات العلمية الشيخ أبو اليقظان رحمه الله، فيسهم بشهادته في حق الشيخ عدون فيقول :

كان الشيخ عدون من تلاميذ الشيخ بيوض و ملازميه طول حياته إلى أن صار يدير باقتدار معهد الحياة، فتخرج منه تلاميذ نبغاء بارعون في كل الميادين، أوتي حظا موفورا من الخلق الكريم، من تواضع و صبر و ثقة بالله و اتكال عليه و تقوى له و إيمان به، و عزة نفس و همّة عالية و لين عريكة و حسن نية و صفاء قلب و صدق و إخلاص و ورع و زهد و محافظة على سمت السلف الصالح و حزم و عزم و اقتدار على ما يناط به من المهام بأمانة، و جد لا يعرف كللا و لا مللا، و لا سأمًا و لا تمللا في مبدئه، و هو بارع إذا كتب لا سيما في المواضيع الاجتماعية و الأخلاقية، و يرجع إليه الفضل في تحرير افتتاحيات جرائدنا خصوصا وادي ميزاب المغرب النور الأمة و الذي يذيل مقالاته بإمضاء سعيد فقد ساعدنا بذلك جزاه الله خيرا مساعدة جليّة.

و تعجبني شهادة عالية نقلها الدكتور صالح خرفي خريجي معهد الحياة، و حب مدير معهد الحياة، وأحد فحول الشعر العربي في العصر الحديث في كتابه من أعماق الصحراء عن الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني بعمان تظهر شراسة المعارك التي نشأ في وسطها معهد الحياة و الجهود التي بذلها من كانوا على قيامة ساهرين إذ قال:

معهد الحياة، أحد حصون العربية في مغرب الوطن العربي، حمل لواء العربية لغة القرآن الكريم، و نازل الغزاة المستعمرين الذين حاولوا القضاء على هوية الشعب الجزائري البطل، و ذلك من خلال محاربة العربية و القضاء عليها في صدور

أبنائها و على ألسنتهم، فخرج هذا الحصن العلمي بحمد الله و توفيقه، و بجهود مؤسسيه، و العاملين فيه، من الجلة العلماء ظافرا ترفرف على أسواره رايات النصر، كما رفرفت على حصون العربية لغة العروبة و الإسلام في أرجاء الوطن العربي. اه

فما زادت شدة المضايق للنفوس إلا نباتا، و ما زادت ضراوة المعارك للبيان إلا ثباتا. و لكأني بأبي الطيب يعينهم يوم رفع عقيرته مادحا سيف الدولة و هو بيني قلعتة على تخوم الروم و قد حمي الوطيس، و جاد الجند بالنفس و النفس فقال

بناها فأعلى و القنا يقرع القنا
أتوك يجرون الحديد كأنما
و موج المنايا حولها متلاطم
سروا بجياد ما لهن قوائم
و ذا الطعن أساس لها و دعائم
فكيف ترجي الروم و الروس هدمها

كما أن اختيارنا هذا اليوم لإقامة هذا الاحتفال إنما نريد به تخليد ذكرى مديرنا الشهيد خلودَ معهد الحياة العتيد ، فتكون ذكراه متجددة في الأذهان ما وطأت قدما عبد رحابه الطاهر، و نهل من معينه الغامر، فيصير ذكره في القلوب مرتبطا بحدث روحي كبير ، ارتباط ذكرى الإمام الشيخ بيوض رحمه الله بيوم ختم التفسير، و هو أعظم يوم له في حياته و لا مرء، و أجل مآثرة له في جهاده و لا افتراء، فالمؤسسات تبقى و الأشخاص تفتنى .

على أن الشيخ عدون لم يكن دوره مقتصرًا على مرحلة تأسيس المعهد فقط ، بل كان المطور لكل أنظمتة الإدارية، و برامجة التعليمية، و أنشطته الثقافية، فهو المؤسس لجمعية الشباب ناديا أدبيا يتبارى فيها الطلبة على المنابر شعرا و نثرا، و هو المؤسس لجريدة الشباب التي يتفانى فيها الطلبة على المحابر كتابة و نشرا، و هو الوحيد من بين مؤسسي المعهد العتيد الذي رابط أطول مدة فيه مدرسا و مراقبا و مديرا، و الوحيد ممن مد الله في أنفاسه فدخل العشرين السادسة ليضع بيده الشريفة الحجر الأساسي لمبنى المعهد الجديد، و قد تجاوز من العمر قرنا، فحاز بذلك فضل الحال المرتحل، و يشاء اللطيف الخبير أن يكون آخرَ عمل يقوم به الشيخ عدون في حياته تفقدُ مشروع الحياة، قبل يومين من وفاته، لينام قريح العين، و قد صحب معه الصورة المستقبلية ، و النظرة المتفائلة مرتسمةً في هذا المشروع الناشئ الذي به ضمان استمرار السعادة لمن بعده في الحياة.

أيها المحفل الكريم إن تخليدكم هذه الذكرى في يومكم هذا و شهركم هذا و عامكم هذا و في بلدكم هذا ليفتح للنفس الطموحة مجالا رحبا لحديث الأيام، و يفتق الذهن بأفكار جياشة تستحق منا كل إطناب في الكلام، و تستوجب على كل وفي رضع الحياء، و كرع الولاء، و رتع الوفاء أن يقف صرمدا موليا وجهه شطر من كانوا له سببا في الحياة، داعيا لهم بحسن المثوبة و كامل الجزاء، و منشدا في غير منة ملحمة الخلود، مرددا في غير تكتم سيرة غابر العهود، التي عاشها في مض و تعب خيرة الجدود، فكانوا في الوغى صائدي الأسود.

فصاروا ديونا للمنايا و من يكن عليه لهم دين قضاه على عسر
فحسبك منهم موحشا فقد برهم و حسبك منهم مسلّيا طلب الأجر

و لكن أنى يتسنى ذلك الآن و الوقت لا يسمح بالمزيد، و الكلام مشاع لمن يريد، فحسبي أنى قد بلغت من القصد ما أريد، و في فرصة أخرى سأنح ساعود، إن أنسا الله في الأجل و قدر بعمر مديد، غير أنى و في نهاية الكلام و قبل أن أترك المقام أريد أن اعرض عليكم جوهرة ثمينة تشيع ضياء لأولي الأبواب ، استخرجتها من أعماق جريدة الشباب، التي شن الطلبة عليها الإضراب، حتى دساها في الرفوف التراب، فكاد أمرها أن يؤول إلى يباب، وعلى أنفسنا نلقي بكامل اللوم و العتاب، ، إنها مقتطفات من مقال كتبه المدير بخط يمينه قبل ثمانين عاما و بالتحديد يوم 14 شعبان 1445هـ/ 17 فيفري 1927م فاسمعوا إليه في اهتمام :إني أجد في نفسي انشراحا وارتياحا لا يوصفان إذا رأيتمكم في سلم النجاح ترتقون.... و للناس فيما يعشقون مذاهب و مذهبي في العشق نجاحكم و سعادتكم.... لا يستقر بي قرار و لا يطيب لي مقعد إلا مقعدي أمائمكم أستمطر عليكم سحائب فكري لإخصاب أرضكم وانتعاشها.... إذا علمتم علم اليقين أن ذلك مني صدق و وداد، و إخلاص لا تشوبه شائبة رياء و غرض نفساني، و كنتم ممن يقر بالإحسان و يعترف بالجميل فإنكم تسارعون في مجازاتي، و تتساءلون عن جائزة تليق بي فتمنحونيها جزاء لخدمتي، و شكرا لما قمت به نحوكم. و هنا يجب علي أن أرشدكم إلى الجائزة التي تجازوني بها، إذا جنتم بها فقد قمتم بواجبكم و كنتم من الشاكرين ألا و هي العمل بما أقول لكم.....

أولا الإتحاد: لقد تفتحت عيونكم في عش واحد، و رضعتم من ثدي واحد، و حلقتم في جو واحد، و رتعتم في روضة واحدة، فعضوا على هذه الوحدة بالنواجذ

ثانيا التخلي عن رذائل الأخلاق كالحسد و الحقد و الكذب و الاحتقار و الاستئثار، و التحلي بفضائلها كالحلم و الصدق و الكرم و النصح و الأخذ بيد العار و الإيثار

ثالثا التفاني في سبيل مهنتكم و التفرغ لها و المثابرة عليها بكل جد، من غير ضجر و لا ملل، فأفة الملل هي الملل، و من يعرف المطلوب يحقر ما بذل

رابعا صرف الشطر الأكبر من وقتكم في شحن أدمغتكم من مختلف الفنون بقدر استعدادكم و مواهبكم، وفي الاعتناء بالحفظ و مطالعة نفائس الكتب

خامسا أرفع أكف الضراعة بالدعاء إلى الله و أبتهل و اضرع إليه أن يمدكم بروح منه، و يسدد خطاكم و يلحظكم بعين عنايته، و يوفقكم لما فيه رضاه إنه سميع مجيب

إيه يا شيخنا المرحوم، و يا أبانا الرحيم، كم كان الرجاء فيك حيننا لحضور يوم التمام، و كم كان الأمل فيك صادقا لشهود الحفل يقام، و أنت تدشن بيمينك المباركة هذا الصرح العلمي الهام، و تدلف بقدمك الطيبة عتبة هذا المعلم

الديني السام، الذي وضعت أسسه في العشرينيات، و رفعت قواعده من جديد و قد تجاوز العمر منك مائة عام .
بركة في العمر تالدة، و حبيبة من العمل رائدة، زاد ادخرته للخالدة، فتم إلى جوار الصحب آمنًا، و استمتع بصفو
النعيم في رياض القبر مطمئنًا، ولتقر عينك بما قدمت، و ولتهنأ نفسك بمن خلفت، فذكرك صار عمرا ثانيا في الخالدين،
و حمدك أضحي لسان صدق في الآخرين

ولئن لم يكتب لك شيخنا حضور ذلك اليوم الموسوم، و البقاء إلى ذلك الوقت المعلوم، و قد عاجلك الأجل المحتوم و
غادرت و في نفسك لهفة و هموم ، فتق بأنا على العهد ذائبون، و على الدرب باقون، و على المشعل محافظون، وللراية
السمحاء معلون، و للسيادة القعساء ماضون، و سيكتمل بإذن الله شموخ هذا الصرح، و ستعلو منارته فوق السطح ،
و سيُنشد أبنائك الجنود بلحن شجي لحن الخلود، و يؤوبون بصوت ندي أنشودة الحفاظ على العهود، و سيردد
المعهد صدى اللحن، و ترجع الجبال مدى الصوت، فيغشاك لحننا سنيا في قبرك و قبر من تنام بجواره زعيم الأمة الشيخ
بيوض، و صنوه الشيخ ابي اليقظان، و كل من يرقب بعين بصيرة مسيرة هذا المغوار، و يتابع درب هذا المشوار. فالهناء
الهناء لك شيخنا، و السعادة السعادة أبانا، لقيانا معك في دار الخلود، هناك يحلو السمر و يطيب السهر في الرياض
مع الحور، فتعج الأفئدة بالشكر أبد الدهور

معهد الرشدا لا عدمتك صدرا كم رعى ناشنا و أيقظ ذهنا
منذ ثمانين و المراكب ترسو سفن تحتفي فتحضنُ سفنا
معهد للشباب كنت و ما زلت شبابا و العمر أوشك أن يكون قرنا
عدون ما أنت المؤسد في الثرى بل أنت في دار الخلد الخالد
و ليت المنية إذ أفدت عمرا بخارجة أفدت سعيدا بما شاءت من البشر

فحفل مبارك أيها المحفل سعيد، و عمر طويل في حسن عمل مديد، و عهد صادق ينفذ عنه الجمع رشيد، و يقين
ثبت به الأقدام على الصراط و البصر يومئذ حديد، و رضوان من الله أكبر ما نرجو بعده من مزيد.

و قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله و المؤمنون و ستردون إلى عالم الغيب و الشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

القرارة يوم الإثنين 30 شوال 1425هـ 13 ديسمبر 2004

عيسى بن محمد الشيخ بالحاج